التعذيب وعواقبه: متلازمة ما بعد التعذيب

ترجمة وإعداد: أ.د. سامر جميل رضوان

Samer Rudwan

<https://orcid.org/0000-0002-8844-1307>

فولكر فاوست^١

تغرقنا وسائل الإعلام كل يوم بصورة متنوعة لأشخاص تعرضوا أو يتعرضون للتعذيب torture بشكل من الأشكال وبالطرق والوسائل المستخدمة في التعذيب بشكل يجعل السامع أو المشاهد يتفزز هلعاً واستنكاراً لما يمكن أن يلحقه الإنسان بأخيه الإنسان من أذى. ومع ذلك فإن عدد قليل من الناس فقط هو الذي يستطيع تصور العواقب الروحية والجسمية والاجتماعية النفسية طويلة الأمد. فإذا ما نجا الإنسان من هذا التعذيب فإن الحياة تستمر بصورة مشحونة بالعذاب بشكل لا يقل عما كان الإنسان عليه تحت التعذيب. ذلك أن هدف وسائل التعذيب الحديثة ليس الحصول على الاعتراف فقط وإنما تدمير الشخصية ومحو الهوية. إذ أنه بهذا الشكل يفقد الإنسان أية قدرة على المقاومة.

وسوف نقوم فيما يلي بالتعرض إلى الانتقال فقط لبعض طرق التعذيب "الحديثة" وعواقبها الجسدية، ومن ثم نتطرق للجراح الروحية التي تتجلى من خلال الاستعداد الدائم للقلق، وظواهر الخطف خلفاً لـ flash back phenomenon، أي استعادة تذكر الحدث بتفاصيله، والمخاوف الرهابية المتجنبة للموقف، وحالة التوتر المستمرة وقهر الانشغال الفكري والاكتئابية والمزاج المستثار المتوتر وفقدان المبادرة وعدم القدرة على الهدوء واضطرابات الانتباه والتركيز وانهايار الإنجاز وعدم القدرة على الاستمتاع، وكذلك العواقب غير المعروفة على الأغلب بالنسبة لمعنى الحياة والأمن الذاتي والوحدة الجسدية-النفسية أو خبرة الجسد، وأحاسيس الألم والحياة الزوجية والمهنة... الخ.

مع دخول العالم القرن الواحد والعشرين صاحباً معه صورة قاتمة من القرن العشرين زاد عليها الأحداث التي رافقته منذ بداياته الأولى وحتى الآن، حيث وصل التعذيب مدى لا حدود له من حيث الأشكال والطرق، التي لم يكن كثير من الناس يعرف عنها شيئاً لو لم تسلط وسائل الإعلام

¹Faust, V. (n.d.). Macht und Machtmissbrauch aus psychologischer Sicht. Retrieved 3 2015, from http://www.psychosoziale-gesundheit.net/psychohygiene/pdf/faust3_macht.pdf:
<http://www.psychosoziale-gesundheit.net/index.html>

بعض الضوء على جزء مما يحدث في العالم قاطبة سواء على مستوى الأفراد والجماعات والمجموعات والدول. وتعدد منظمة العفو الدولية أكثر من مائة دولة في العالم يتم فيها تعذيب الناس بشكل منهجي ليس فقط جسدياً وإنما نفسياً. من قبل الشرطة والجيش والمخابرات. إذ أن الهدف من التصفية ليس الإجبار على الاعتراف أو الإقرار بشيء ما وإنما تدمير الشخصية ومحو الهوية. والذين يقومون بالتعذيب يعرفون بأن الناس من دون هوية بشخصيتهم المحطمة يفقدون قدرتهم على المقاومة مهما كان نوعها.

تحديد المفاهيم

تم في السابق استخدام مصطلح متلازمة ما بعد التعذيب Post-torture-Syndrome. ويعد هذا المفهوم قديماً في الوقت الراهن، ولاحقاً تحدث المرء عن الانصدام المتطرف Extreme-Traumatisation، وجعل الإنسان منكوباً man-made-disaster والمتلازمة الانفعالية الوجودية existential emotional Syndrome...الخ. أما اليوم فنحدث عن اضطرابات التوتر التالية للصدمة post-traumatically Stress disorders، حيث يتم كذلك تقسيم هذا الاضطراب إلى تقسيمين فرعيين. الأول هو اضطرابات التوتر الحادة Acute Stress Disorder وإلى التوتر التالي للصدمة المركب Complex Posttraumatic Stress أو الشامل وذلك بسبب أن صدمة التعذيب لا تتوقف بعد التعذيب. ويتم تقسيم اضطرابات التوتر التالية للصدمة إلى:

- الكوارث الطبيعية: كسقوط الطائرات وغرق البواخر وحوادث المفاعلات النووية والحوادث الكيميائية...الخ.
- الكوارث الطبيعية: كالزلازل والبراكين والأعاصير والفيضانات...الخ.
- ما يسمى بالتحطيم البشري للبشر وجعل الإنسان منكوباً man-made-disaster: كالتعذيب والاغتصاب والاعتداء والسطو والخطف والأخذ كرهينة...الخ.

هدف استراتيجية التعذيب "الحديثة"

يتصرف الجلادون بشكل مخطط من أجل تحقيق هدفهم. فالإنهاك النفسي ينبغي أن يتم بالتدريج. وهذه العملية تكون محسوبة بدقة، يتم تنفيذها بدم بارد وحسب السمات الفردية للضحية المعنية. إذ ليس من المفيد البدء مباشرة بالإجراءات الأقسى. فعلى المرء أن يترك للضحية الوقت الكافي ليعيش العذاب والذل بصورة كبيرة، ويتماهاى معهما ويفقد بالتدريج إرادة المقاومة.

على الضحية أن يفقد كل سند داخلي وكل إحساس بذاته بشكل لا حول له ولا وقوة فيه، عليه أن يبكي ويستعطف، عليه أن ينزلق بخوف مرعب غير قابل للسيطرة، أن يبول ويخرج فضلاته، عليه أن يتمنى لو يموت بدلاً من أن يجري له هذا. والأشد بشاعة وألماً من الألم هو الوحدة بعد التصفية. حيث يكاد المرء يجن. يشعر بنفسه كالحيوان تحت رحمة جلاديه الساديين. وهكذا تجد الضحية نفسها حية بشكل من الأشكال بعد أن يتم إطلاق سراحها، إلا أنها محطمة نفسياً. وهذا هو هدف التعذيب "الحديث".

طرق التعذيب

طرق التعذيب قديمة قدم الإنسانية ويتم تجديدها باستمرار وإكمالها بطرق "جديدة". فإلى جانب نقص التغذية (نقص البروتين) المرتبط أحياناً مع إصابات في الرأس ومن ثم زيادة نزيف الدماغ إلى جانب الاستغلال الجسدي الشديد، كالإجبار على العمل تحت الظروف المختلفة للطقس، والأوبئة. الخ، وإلى جانب القهر الجمعي (الجمهور العاجز عن المساعدة والمساندة) إلى جانب ذلك كله كانت وما زالت طرق التعذيب الجسدية ومنه الضرب، وبشكل خاص على الرأس مع آثار جدية أحياناً كفقدان الوعي وكسر العظام والنزيف والدم في البول والجراح المفتوحة من ثم تفقيحها فيما بعد وصولاً إلى التقييد الماكر أو الإجراءات السادية، كالبقاء المستمر تحت الضوء الشديد، تحت الظلام الدائم أو في الزنازين الباردة أو العائمة بالماء لأسابيع؛ بالإضافة إلى الدبابيس تحت الأظافر والحرق بالسجائر والتغطيس في الماء البارد ولي المفاصل... الخ. والضرب على باطن القدمين بالكرباج أو بأسلاك شائكة، وسحب الأظافر وحرق أجزاء من الجسم برماد السجائر والنار، بالإضافة إلى الصدمة الكهربائية للصدغ وحلقة الثدي القضيب، والسجن الإفرادي في زنزانة عازلة للصوت والاعتصاب، حتى للرجال، والإيهام بإطلاق النار، وكذلك الحث المخفي أو الواضح على الهرب من أجل التمكن فيما بعد من إطلاق النار بالفعل. بالإضافة إلى ذلك يوجد الكثير من التنوع، من نحو الإجبار على أكل الشخص لشعره أو لفضلاته، وشرب بوله والتثبيت في وضعيات جسدية مؤلمة والتعليق لساعات باليدين أو الرجلين وأشكال أخرى من التعذيب الكهربائي وإدخال أشياء مختلفة في الجهاز البولي أو الشرج، والتبول في الفم... الخ.

ومن الجدير بالملاحظة تلك الأسماء السادية التي تطلق على طرق التعذيب المنفردة. فالضرب المتكرر على الوجه أو الأذنين يسمى "التليفون" أو "طيارة" على سبيل المثال، والتغطيس في الماء حتى يكاد الإنسان يغرق، أو حتى في سوائل قذرة مخلوطة بالبول والبراز أحياناً يسمى

"الغواصة"، وربط اليدين والقدمين على الظهر والتعليق بعدئذ في هذه الوضعية يسمى "الأرجوحة" أو "أرجوحة البغاء" أو "الشبح"... الخ.

كما يشكل سماع الصراخ الحقيقي أو المفتعل لسجناء آخرين والذي يستخدم كذلك كسلاح تدمير هادف، إنهاكاً واستنزافاً حاداً. وعلى المدى البعيد يعذب التهديد الدائم بالموت، وكون الإنسان تحت رحمة إرادة تدمير لا ترحم من دون مبرر ودون ارتكاب أي ذنب مهما كان نوعه. فالبعض يخفف عنه إذا ما استطاع أن يعزو هذا الأمر لذنب ارتكبه، ولكن بالنسبة للكثيرين فإن غياب الحكمة الإيديولوجية لهذه المعاناة، التي نجدها على الأقل لدى الضحايا من السياسيين أو المتدينين، أو المقاومين الذين يقاومون الاحتلال، تسبب رعباً إضافياً.

والفاجعة الكبيرة هي اليقين بأن كل هذا غير محدود زمنياً وإنما سوف ينتهي باحتمالية كبيرة بتدمير جسدي، يتمثل في خوف لا ينتهي، ويتحول في النهاية إلى الاشتياق للموت. وهكذا يجد المرء نفسه فرحاً بالعذاب اليومي الذي يجتازه حياً على الأقل.

وما يستنزف بشكل خاص على المدى البعيد هو أن كل ذلك يحدث من دون تخفيف، باستثناء الاستراحات القصيرة المذكورة التي تستخدم كفواصل خوف هادفة. وهكذا لا توجد للضحايا أية إمكانية لعمل شيء على أدنى مستوى حيوي على الأقل والاستجابة لشيء ما.

الجلادون

لا توجد دراسات مبنية حول طبيعة الجلادين، يمكن الحصول عليها من جماعات كبيرة من الجلادين. وما يتوفر بعض التوصيفات الفردية. فبعضهم يختفي وبعضهم الآخر يلقي القبض عليه ويحكم من دون أن يسمع عن ذلك في وسائل الإعلام. وعدد ليس بالقليل منهم يظل غير ملفتاً للنظر وأحياناً يلفت النظر بشكل إيجابي، كأن يكون أباً طيباً، أو جاراً لطيفاً، أو موظف غير ملفت للنظر... الخ. والتفاصيل ستفقدنا بعيداً عن الموضوع، إلا أنه لا بد من الإشارة إلى مظهرين:

- ١- من المهم أن نعرف أنه لا يوجد جلادون قساة فحسب وإنما هناك جلادين "ودودين" أيضاً، والذي يبدو أنه يعتدي بشفقة من أجل مساعدة الضحية، ويبيدي التفهم له، سواء بالكلمات أو بالأفعال. إلا أن كلهم يتبعون الهدف نفسه. أي تدمير الضحية في تكيفه، واستبعاده من الجماعة وذلك بأن تسلب منه ثقته في الإنسانية ويصبح شكاكاً في المجتمع. على المعني أن يعاني من الشك والقلق والشعور بالذل والصد ورفض الذات حتى آخر يوم في حياته.

٢- من منظور تنظيمي لابد من الإشارة إلى أنه يتم تبادل المعارف حول طرق التعذيب "الحديثة" وفعاليتها بين الدوائر المعنية، بحيث أنه يوجد نوع من "عولمة الجلادين مع إمكانات تأهيل مستمرة". وهذا ليس ضرورياً كثيراً للجانب الجسدي من الجلادين، فهذا يفعله أكثر الناس سذاجة، ولكن بالنسبة للتدريب النفسي ضروري، لأن الهدف هو تحطيم نفسية الضحية من أجل تحقيق تأثير مدمر طوال الحياة.

العواقب الجسدية للتعذيب

العواقب الجسدية للتعذيب إما أن تكون من طبيعة عضوية صادمة^٢ organic-traumatic Nature بشكل واضح. أو يمكن تفسيرها من الناحية الجسمية النفسية. فالاضطرابات النفسية الناجمة عن التعذيب على سبيل المثال، تتجلى من خلال الأعراض الجسمية، التي لا يكون لها سبباً جسياً قابلاً للبرهان ولكن هذا لا يغير من الأسباب والعواقب. ليس من النادر أن يتحول الجسدي إلى نفسي والعكس.

ومن أكثر الأعراض ملاحظة الصداع والشكاوى القلبية وضيق التنفس والدوار واضطرابات النوم والكوابيس وفرط اليقظة وصولاً إلى فرط التوتر "العصبي"... الخ. أما أغلب العلامات القابلة للبرهان الموضوعي بعد عذاب التعذيب فتقتصر على الندب وضعف الحركة وإعاقات المشي وأضرار الأسنان وإصابات طبلة الأذن والعيون. وغالباً أيضاً توتر مزمن مرتفع بالعضلات مع ألم مرافق من خلال تشنج العضلات. ولكن غالباً ما لا نجد أية آثار، ولكن آلام مستمرة. لقد تحول الألم الآن إلى "الذكرى المتجسدة".

العواقب النفسية للتعذيب

فيما يلي عرض مختصر لأهم أعراض التعذيب وذلك على المستويين النفسي الجسدي والمستوى الجسدي الخالص.

١) الأعراض النفسية الجسمية

- من العواقب النفسية الجسدية القابلة للتفسير للتعذيب يمكن تعداد على سبيل المثال:
- حالات التعب: وتترافق مع استعداد متزايد للمرض وبشكل خاص العدوى.
- اضطرابات إعاقة: وتترافق بارتجاف ونوبات تعرق ودوار وطنين في الأذن وتنفس لاهت... الخ.

^٢ Trauma: مصطلح إغريقي يعني الجرح أو الإصابة. وتستخدم بالمعنى المجازي للإشارة إلى التدمير النفسي.

- اضطرابات نوم: وتترافق مع كوابيس وصراخ ليلي.
- شكاوى قلبية: وتترافق مع تسرع في القلب وعثرة فيه ووخز وضغط في القلب وضغط الدم.. الخ.
- مشاعر ضغط: وتتركز في الصدر والشعور بالغصة في الرقبة (اضطرابات بلع، ومشاعر بالضيق) وضيق التنفس... الخ.
- اضطرابات في المعدة والأمعاء: وبشكل خاص الإسهال والإمساك والقرحة وآلام المرارة والبواسير واضطرابات المثانة... الخ.
- آلام من كل الأنواع وفي كل مكان: صداع وآلام ظهر وكتفين ومفاصل ولدى النساء آلام أسفل البطن وآلام متقلبة... وأعراض أخرى كثيرة.
- تشنج العضلات: في مفاصل الفك وآلام في قفا الرأس (القلق في القفا)، ومجال الكتفين واليدين (ومن ثم أيضاً صداع تشنجي متكرر)، وفي الظهر. ويمكن أن يمتد هذا لاضطرابات في الحركة أو مفاصل الرأس والرقبة وأن يثير دائرة مفرغة. إلا أن حصول التشنج أو "إحداث" التشنج هو الوسيلة الوحيدة للضحية على الأغلب للحفاظ على "الغضب العارم" في داخله، وإلا ستحصل حالات توتر لا معنى لها ونوبات عنف. بالإضافة إلى ذلك كان رفع توتر العضلات في أثناء التعذيب الحماية المطلقة من الضربات. وهذا التوتر يستمر بالتأثير وكأن التعذيب مستمر للأبد.

٢) عواقب التعذيب القابلة للقياس الموضوعي

- من بين أكثر العواقب التي تستمر لفترة طويلة أو حتى طوال الحياة القابلة للتحديد الموضوعي objectivize طبقاً لطريقة التعذيب يمكن تعداد:
- الندب المميزة من خلال التيار الكهربائي؛
 - ثقب طبلة الأذن من خلال الضرب باليدين على الأذنين مع تميز الثقب كما يحدث من بصدمة الانفجار؛
 - ندب مطابقة من خلال الوخز والتقييد (على مفصلي اليدين على سبيل المثال)، ومن خلال السجائر المشتعلة، والنار (المكواة) والبلاستيك الحامي ومن خلال غرس أشياء تحت أظافر اليدين والقدمين، تقييد الحركة من خلال السجن في غرف منخفضة أو أقفاص صغيرة مع تغيرات مؤلمة في المفاصل والعضلات؛

- إصابات في الرأس بعد التعليق (والرأس للأسفل أيضاً) مع إسقاط مفاجئ والضرب المتكرر على الرأس حتى نزف محيط الدماغ؛
- تمزق أنسجة خلايا ما تحت الجلد من خلال الجوع أو المشاركة بالإضراب عن الطعام؛
- نزيف متعدد بألوان مختلفة وقيح من خلال ممارسة العنف المطابقة، مما يقود أحياناً إلى ضرورة إجراء ديلزة، بسبب وجود الكثير من البروتين في الكليتين.
- ندب مميزة يخلفها أيضاً الحفر بالمتقارب وجراح العض، أحياناً الحيوانات وأحياناً من الجلاد نفسه، حيث يتم رش الملح على الجرح كذلك.
- وفي بعض المناطق هناك كذلك ألم بطة الرجل والقدمين، وشعور بالنار في باطن القدمين وآلام عند المشي. وهذه عاقبة الضرب على باطن القدمين (ما يسمى بالفلقة أو الدولاب)، حيث يتم هنا تدمير بنية أنسجة بطة الرجلين وبشكل خاص باطن القدمين من خلال التقرحات الشديدة في المرحلة الحادة بعد التعذيب. ولاحقاً تكون كمية الدهون في باطن القدمين منخفضة بوضوح. ولا تعود أربطة باطن القدمين لحالتها العادية في التوتر أو الشد، إبهام القدم يصبح ممطوطاً.

(٣) عواقب التعذيب النفسية

الجراح النفسية تكون على الأغلب أشد وأطول من الجراح الجسمية. فهي تؤثر "كجسد غريب في الروح" وهذا الجسد الغريب يمتص جزءاً كبيراً من الطاقة النفسية، أي الإحساس بالراحة ومنتعة الحياة وقوة الخيال. لهذا على الإنسان المجروح (المصدوم) نفسياً بذل الكثير من الطاقة، من أجل الحفاظ على هذه "الجسد الداخلي الغريب" بعيداً عن صورته الواعية عن ذاته.

أما غالبية الشكاوى تكون في المجال الروحي والنفسي الاجتماعي والنفسي الجسدي فهي:

- التعب السريع؛
- القابلية السريعة للإرهاك النفسي-الجسدي؛
- تراجع القدرة على التذكر والانتباه،
- عدم استقرار عاطفي وصولاً إلى انفجار البكاء غير المسيطر عليه،
- تشتت الفكر وشروده بشكل مربك،
- دوار غريب،
- توتر مستمر

- عدم هدوء وتوتر وعصبية، يضاف إلى ذلك الاستثارة والعدوانية،
 - حالات قلق من جميع الأشكال،
 - رهاب يطفو بحرية، أي ذكريات موجهة بشكل قسري لأمر معين،
 - فقدان الهدوء عدم استقرار انفعالي وحالات من التعكر الاكتئابي،
 - الميل للانفعال الفكري المعند،
 - قدرة مرتفعة بشكل شاذ على التذكر، ولكن لمشاهد مرعبة من الملاحظة.
 - أحلام كارثية،
 - الشعور بالتدهور والانحطاط، وفقدان القيمة والعزلة.
- ومن السمات الأساسية المميزة إلى حد ما هنا هي اضطرابات التذكر أو فجوات التذكر الملموسة، أي عدم القدرة على تذكر أحداث معينة، وتضييق الحيوية والدافع وصولاً إلى تعكر المزاج الدائم الاكتئابي اللاديناميكي، والذي يسمى كذلك الاكتئاب الانتكاسي المزمن *chronically reactive Depression* وهو تعبير متناقض بحد ذاته، إلا أنه يقصد به هنا أن هذا الشكل من الاكتئاب يتضمن مثيرات ملموسة لاكتئاب دائم.

٤) العواقب البين إنسانية

- غالباً ما تفقد القدرة المنخفضة على الإدارة الفاعلة للحياة بشكل خاص إلى التشتت الشديد الأثر في المجال البين إنساني والاجتماعي. فالمزاج الأساسي هو الحزن الذابل مع الأسر الدائم بالخبرات المهينة والرعب المذلين المعاشين. ويمكن للمخاوف الرهابية المرتبطة بالموقف (مخاوف قهرية) المترافقة مع هلع فريد، حتى من الأحداث الحياتية أن تكون معيقة أو حتى مرعبة. وفيما يلي بعض التفصيل:
- **الاستعداد الدائم للخوف:** مع نوبات قلق شديدة مفاجئة. حتى عندما يكون الوعي الصافي يعرف أنه متحرر من القلق، فإنه يمكن للقلق أن ينفجر في الكوابيس.
 - **ظواهر الخطف خلفاً:** Flash back Phenomena وهي الصور والأفكار المرعبة التي تظهر فجأة وبشكل اقتحامي، بما يشبه النوبات من مواقف التعذيب الماضية، وأحياناً تكون مجسمة وكأنها تعيد الصدمة الماضية، مترافقة مع استجابات قلق نفسية وجسدية بشكل خاص مطابقة (الارتجاف، نوبات تعرق، قلق، حالات عدم هدوء وتوتر... الخ).

- **مخاوف رهابيه مرتبطة بالموقف:** كالخوف من لابسى الزي العسكري أو ما يسمى برهاب الجرس أو رهاب القرع على الباب ("أخاف بشكل دائم من إعادة الاعتقال") على سبيل المثال، وتستثار هذه المخاوف أحياناً من خلال رائحة العرق والقرقة (تلقيم المسدس) صراخ الهلع وحتى صراخ الفرخ، اللون الأحمر، الإقياء...الخ. كل هذا يقود إلى انفجار "أحاسيس-الصدمة" وذلك بالشدة القديمة نفسها. وهي تكون بالنسبة للمحيط مفاجئة كلية وغير مفهومة بالطبع. وغالباً ما يرتبط هذا مع قابلية للهلع مرعبة وغريبة حتى على الأحداث التي لا قيمة لها، التي لا تذكر بأحدث الملاحظة إلا بشكل عائم (أصوات الألعاب النارية، منبه سيارة، أصوات المحركات، أصوات الصعود أو الهبوط على الدرج، القرع على الباب...الخ).
- وتجبر المخاوف القهرية المحددة على تجنب التجمعات الإنسانية الكبيرة والدخول للسينما والمسرح أو إذا ما ذهب الشخص هناك فلا بد أن يجلس في مكان متطرف يؤمن الهرب يستطيع المعني من خلاله الخروج بسرعة.
- **حالات توتر قلق مستمرة:** مع عواقب نفسية جسدية مطابقة، وعدم هدوء داخلي واضطراب وقلق ووضعية جسدية مميز.
- **قهر الانشغال الفكري مع دوران معذب للأفكار:** (وأحياناً مع دقة تذكر تصويرية دقيقة للمشاهد المرهقة).
- **الاكتئابية:** الاكتئابية لا تعني الاكتئاب، وإنما فقدان القوى الحيوية والاستعداد المزمن للقلق وتراجع التركيز وعدم القدرة على المرح والمتعة. وفقدان المبادأة وشلل العاطفة والانسحاب الإعراض عن عالم المشاعر الذاتي، عدم القدرة على الإحساس بالذات لهذا يبدو المعنيون وكأنهم محترقين وفارغين ومتبلدين.
- **قابلية مستثارة للتعكر المزاجي:** تأرجح مزاجية، مستثارة، يصعب التحكم بها مع نوبات غضب وهياج قصيرة الأمد غير قابلة للسيطرة وانفجارات عدوانية مع أعمال عنف ضد الآخرين، يصارع المرء نفسه، ولكن غالباً مع شبح غير موجود، ولا يمكن تذكر أي شيء بعد ذلك، وكذلك ضرب نفسه، مع كل ما يحمله ذلك من خطر أذى الذات أو حتى الانتحار.
- **الشلل العاطفي:** لا يعود أي شيء يمس المشاعر، لا الأخبار السيئة ولا الجيدة. تبدل كامل لكل المشاعر وصولاً إلى الفراغ الداخلي (الموت الداخلي).

- **فقدان المبادأة:** لا يوجد دافع، الديناميكية-اكتئابية، تبدل، استسلام، كبح، قنوط وصولاً إلى انسحاب لا مبالي apathy وخطر الوحدة والانعزال (انسحاب كئيبي).
- **عدم الهدوء:** تيجان داخلي، لا يعرف الراحة أبداً، في أي بيت، في أي مدينة في أي بلد. وأحياناً تتوالى اللامبالاة مع عدم الهدوء وهو ما يكون منهكاً بشكل إضافي (ضعف مستثار ولامبالاة مدفوعة).
- **تداعي التركيز وتراجع الإنجاز:** اضطرابات انتباه وتركيز ونسيان وسرعة في الإنهاك بالترافق مع نقص في الإنجاز على المستوى الروحي والبيّن إنساني وأخيراً في المجال الجسدي والمهني.
- **عدم القدرة على الاستمتاع:** يصبح كل شيء بلا طعم ولا مضمون، اتجاه مصبوغ بالسلبية مع حلقة مرفقة مطابقة.
- **سؤال المعنى والثقة بالنفس:** يعد عامل الإرهاق ذي العواقب طويلة الأمد عاملاً مهماً يصعب فهمه من الملاحظ الخارجي. فالمصير القاسي وما يرتبط بذلك من "فراغ المعنى" هي جزء من قهر الانشغال الفكري، الذي ينشغل بالأسئلة عن معنى الوجود واستمرارية الحياة. يضاف إلى ذلك الثقة بالنفس المدمرة، وهي سمة تميز الكثير من الملاحقين.

مظاهر خاصة للأشخاص الذين تعرضوا للتعذيب

- وأخيراً لا بد من الإشارة إلى بعض المظاهر للذين تعرضوا للتعذيب بشكل مختصر. وهي المظاهر يتم التعبير عنها إلا أنها صعبة الفهم من الملاحظ الخارجي. ومن هذه المظاهر:
- **تدمير وحدة الجسد-النفس:** يعيق واقع التعذيب المعنيين أنفسهم فيما بعد القابلية للإدراك أو الفهم والانعكاس في التفكير وفي الفهم والتقويم لأن أساس جوهر الشخصية قد اهتز. فمن خلال التعذيب تضطرب وحدة الجسد والنفس بشكل عميق. فلا يعود المعنيون يثقون بأنفسهم، ويوجهون الغضب والكره نحو أنفسهم. فيعاقب المرء نفسه بالحقاق الأذى وعدم الإحساس بجسده ويرفضه كجسد غريب عنه.
 - **الخصائص النفسية للإحساس بالألم:** تعزز أحاسيس الألم الروحية، أي النفسية الجسدية بشكل خاص هنا، والعضوية، ما بعد الصدمة بعضها بعضاً. يضاف إلى ذلك الاغتراب "بين الرأس والجسد"، بين الروحي والجسدي. وهذا الألم المركب واختلاطات أحاسيسه التي لا تحصى تحت عتبة الألم، مع عدم وجود خسارة عضوية، تعاش كوحش مفترس.

ويرتفع من خلال ذلك خطر سلوك تجنب وخيم العواقب، وهي إحدى السمات الرئيسية للانصدام المتطرف.

إذ أن من يشعر بالألم لا يستطيع عندئذ التفكير والاستنتاج بوضوح ولا يستطيع في النهاية أن يتذكر الرعب الذي حدث معه. وبهذا يكون هنا قد تم برمجة آلية كبت مهمة، إلا أنها ذات عواقب وخيمة. فكلما ازداد تفكير المعني على آلامه وأظهر مع الوقت سلوك ألم متعدد واضح بما في ذلك توقعات الألم أيضاً كان ضمان عمل الكبت أكبر.

- **العواقب على الشريك:** إذا ما تم تعذيب الشريكين فإن هذا سيدمر العلاقة. إذ تحصل هنا اتهامات متبادلة على سبيل المثال فيما يتعلق بالسلطة واليأس، ولعبة مرعبة عن أي منهما عانى من الرعب أكثر، وعزو طرق التعذيب للآخر، ومطالب متبادلة غير قابلة للتحقيق نحو التفهم والرعاية وفقدان القدرة على الحب الذي يحاول كلاهما المطالبة به. وغالباً ما تكون النتيجة الانفصال أو الطلاق.

- **اضطراب خبرة الجسد:** لا يعود ضحايا التعذيب يشعرون باتحادهم مع جسدهم. إنهم يشعرون أن روحهم تسكن في جسد غريب. إنهم يرفضون جسدهم، لا يعودون يحبون أنفسهم. يشعرون بأنهم غير جاذبين ويعيشون أنفسهم على الأغلب عبر الألم وعدم الهدوء والارتجاف، أي عبر السكة الجسدية التي خرجت عن مسارها. إنهم يرون الندب والآثار الأخرى للجراح، يشعرون بأنهم مشوهين ويحسون بأنهم قد فقدوا مرونتهم الحركية وقوتهم وقوة جذبهم.

والأسوأ من هذا كذلك عندما يعيش المعني نفسه "مجزئاً أو مفتتاً" fragment. ومن خلال ذلك يمكن أن يحصل انقسام انفعالي لأجزاء الجسد. فلا تعود الارتباطات الطبيعية بين الرأس والذراعين والرجلين وكل الجسد مدركة. فلا يوجد هنا ارتباط وجداني بين أجزاء الجسد ككل. فكل شيء يبدو متصلاً جامداً، ولا يعود لدى المعني إحساس بحدود عضويته الداخلية. وعلى الرغم من أن المرء قد نجا من الموت، ولكنه الآن في الحياة كالميت.

- **حالات شبيهة بالذهان:** وقد تنشأ بشكل خاص من خلال السجن الإفرادي وقمع الإدراكات الحسية. وعليه يمكن للعينين المعصوبتين في أثناء وبعد التعذيب أن تسهل حدوث حالات شبيهة بالذهان كما هو الأمر لدى المرضى العقليين من نحو الفصام، وهو أمر يشبه ما يمر به الأشخاص بعد العمليات الجراحية للعيون وتغطية عيونهم لعدة أيام.

- **طرق التعذيب الخادشة للحياء:** وهي تلك الطرق التي لا تخدم تحقيق اعتراف كثيراً ولكنها تقوم بتحطيم الهوية الذاتية (أي إنسان أنا ليحدث لي كل هذا). وكلما كانت البشاعة أكبر وبقايا الهوية أكثر هشاشة كان الانطباع بعدم المصادقية أشد ("لن يصدقك أحد على أية حال، سيعتبرونك مجنوناً ويضعك في مستشفى المجانين") هذا ما يتنبأ به الجلادون أنفسهم.
- **فقدان الوعي وعواقبه:** تكثر تشوشات الوعي أو حتى فقدانه، أحياناً من خلال التنفس المتطرف (فرط التهوية Hyperventilation أو ما يسمى باللهث المرضي)، ونتيجة للقلق والألم وأحياناً من خلال التأثيرات العنيفة على الرأس والظهر.
- **متلازمة النقص:** من خلال نقص البروتين والفيتامينات والحريات مع الممارسات المطابقة، والتي تحصل من خلال التجويع الهادف ومن خلال الإضراب عن الطعام يحدث نقص في التغذية. وغالباً ما تكون العواقب من طبيعة عضوية، ولكن أيضاً نفسية وعقلية (آفات دماغية).

ماذا يحصل بعد ذلك؟

تعد فترة التعذيب مرهقة بشكل متطرف، ولكنها لا تقل فيما بعد إرهاقاً كما تثبت ذلك العواقب النفسية والجسمية والاجتماعية النفسية. ولكن هناك إرهابات أخرى أيضاً وإهانات وإذلال وإحباط ومن ثم انصدامات أخرى.

فإذا ما استمر النظام الدموي بالبقاء ولا يستطيع المعني الهرب إلى الخارج، فإنه ينزلق في "الحرية بلا حرية". فلا يستطيع لا أن يشكي ولا يشتكي، وعليه أن يصمت ويتحمل، لأنه سوف يعاد اعتقاله وتعذيبه. وعلى الأقارب والأصدقاء أن يصمتوا كذلك ومن ثم ينزلقون في تواطؤ غريب مرهق لهم مع الجلادين. لهذا فإن عدد ليس بالقليل يستجيب بالضيق والانسحاب والشكاوى المبطنة أو العدوانية.

فإذا ما استطاع الضحية الهرب للخارج/ فإنه يصبح لاجئاً. وهو ما يحمل معه مشكلات من نوع خاص، كما يعلم كل من يتعامل مع مثل هذه الحالات.

ولكن حتى عندما تتم الإطاحة بالنظام أو عندما يزول واستطاع الضحية أن يترقى بوصفه مقاوماً سابقاً إلى بطل ومثل أعلى Idol، فإن القليل منهم فقط هو من يسترد التكاليف التي دفعها في سبيل ذلك. فغالباً ما تحتل مشكلات أخرى الأولوية، كإعادة البناء والدمقرطة والتحالفات الجديدة. أما التفكير بالماضي فغالباً ما لا يظل وقت لذلك أو رغبة. ففي النهاية ينظر كل الشعب

لنفسه على أنه ضحية. ويكون موقف الناس تجاه المناضلين السابقين مزدوجاً على الأغلب. ويبدو أن هذا الأمر يتشابه في كل الأمم. فهو في النهاية يذكر بما كان وبما تكيف الإنسان معه، لنقص في الشجاعة على سبيل المثال. وتبدو الظاهرة المتمثلة في أن ضحايا النظام التسلسلي القمعي غير محبوبين ظاهرة عامة، لأنهم يحافظون على ضمير الغالبية الصامتة صاحياً. بالإضافة إلى أن العوامل النفسية تلعب دوراً. فيوصفه مناضلاً أو معارضاً يتميز الإنسان عن الجمهور، ويحظى بالإعجاب بسبب شجاعته، ويمكن أن يشعر بنفسه بأنه وريث الأبطال التاريخيين. وهذا ما يمنحه القوة والهوية. ولكن بعد سقوط النظام يبدأ الانقلاب، فتسقط هذه الهالة ويصبح الإنسان جزءاً من الجمهور الكبير.

بعد ذلك لا يحصل المرء في المجتمع -الذي ربما أصبح مجتمعاً تعددياً- على حقه إلا إذا نظم مطالبه وعبر عنها بصوت مسموع. ومن الجدير بالاهتمام هنا أن روابط الجلادين السابقين في كثير من الحالات تستطيع هذا أفضل من الضحايا، الذين ينظمون فيما بينهم روابط متنازعة للضحايا وتعاني من فقدان الأعضاء. وهذا أمر مسبب للمرارة. لهذا فإن مرحلة ما بعد التعذيب ليست كما يأمل المرء. بل هي أقرب إلى استمرار الإذلال والإهانة أو حتى العذاب على مستوى آخر.

ويعد عدم الاعتراف بالتعذيب وعواقبه انصدام متجدد، حيث يكون المجتمع في عيون المعننين إلى جانب الجلادين، وذلك من خلال إنكارهم لما حصل أو يقللون من قيمته. لهذا العقوبة بالسجن لجلادي النظام السابق، تثير لدى الضحايا الناجين ردود أفعال شديدة. فالحكم القضائي بالسجن هو جزء من العدالة ورد الاعتبار. ولكن حتى العقوبة بالسجن مبررة قانونياً، مهما كانت الأسباب، إلا أنها تدفع المعننين إلى عدم التفهم واليأس والحنق الشديد، حتى لو حاول المرء فهم الأمر: (لقد أردنا العدالة فحصلنا على دولة القانون").

وعلى ما يبدو فلا وجود للعدالة المطلقة. فعملية التغلب على الكثير من الصدمات ليست مستقلة عن المآسي الإنسانية، فالجو الاجتماعي يذهب باتجاه الكبت والإنكار، كي يعود الهدوء ثانية. وبالنسبة للجمهور العريض قد يكون من الأفضل فيما يتعلق بهدوء المشاعر العامة والحث على إعادة البناء. أما بالنسبة للمعننين فإن ذلك يظل شوكة في الحلق.

العلاج وإعادة التأهيل

على الرغم من أن العلاج عبارة عن مغامرة مرهقة إلا أنه لابد من تحقيق الأساس التي يحفظ الضحايا للسقوط في القاع، التي جعلهم التعذيب ينزلون فيها، وهذا مهم بشكل خاص لأولئك الضحايا الذين ينتمون لثقافات أخرى. فعدم التفهم العام والرسمي هنا هو الأكبر. فهنا يتم الدفاع بحجج سيئة، وصولاً إلى الاتهام بأن المعنيون يدعون هذا أو أنهم قد سببوا النذب بأنفسهم، التي لا يستطيع أو لا يريد المرء تفسيرها بشكل مختلف.

وهنا يتم استخدام أيضاً طرق التعذيب النفسية "الحديثة" ذات التأثير الأكبر، لأنه لا يمكن على الإطلاق برهانها وتصورها. وهنا تسري أيضاً عبارة سخيفة absurd، مفادها أنه كلما تمت المبالغة بوصف ما تم من رعب كان الانطباع بعدم المصادقية أكبر. وهذه مأساة الكثير من الضحايا وعلى هذا يعتمد الجلادون، حيث يتم اتهام الفرد هنا بالجنون.

وكلما كانت الصورة المرضية وأسأبها أكثر تنوعاً أصبح تصميم العلاج أصعب. فغالبيت المعنيين لا يلجئون للعلاج على الإطلاق، لأنهم يخافون بأنهم لا يستطيعون التعامل مع إعادة إحياء الخبرات الباكورة. وآخرين وعلى الرغم من أنهم يكونوا شاكرين للعلاج أو على الأقل للإشراف، إلا أنهم لا يجدون شخصاً مؤهلاً في العلاج ويتحمل مواجهة هذه المهمة. كما أنه على المرء ألا ينسى بأن الشفاء مستحيل عملياً. والهدف المنشود هو تخفيف المشكلات الروحية والجسمية والاجتماعية النفسية من أجل التمكن على الأقل من إدارة حياة ذات قيمة.

أما العلاج الدوائي بالأدوية النفسية وعلى الأغلب بالمهدئات النفسية والمنومات والمسكنات والتي تتم ممارسته بشكل كبير لا يقود إلى نتيجة باعثة على الرضا. ولكنه ليس خطأ كلية، وخصوصاً عندما لا تتوفر هناك إمكانيات علاجية أخرى وهو يمثل في بعض الحالات المبررة العمود الثاني المهم من أعمدة العلاج. إلا أن الأهم من هذا هو العلاج النفسي النوعي والتعديلات والمساعدات العلاجية الاجتماعية.

وسوف نقتصر هنا بالتطرق للمبادئ الأساسية للعلاج:

١- الإصغاء العارف، فيما يتعلق بالمشكلات الإنسانية؛

٢- علاج القلق والاضطرابات المرافقة معه؛

٣- إعادة بناء الشخصية.

فوحدها حالة أن المريض المرتعب يعرف، بأن المعالج الخبير يعرف قصة معاناته وبشكل خاص يعترف بها، أي يدرك أيضاً العواقب والعواقب اللاحقة على أنها كذلك ويظل تحت دائماً موجوداً بالنسبة للمعني، وعندما يكون المعني على حافة احتياطاته أو موارده النفسية والجسمية، وأنه يستطيع أن يتحدث مع شخص ما حول غير المقال أو غير المروي، وبأن يتقبل أيضاً

العواقب اليومية الأخرى (البين إنسانية والزوجية والمهنية)، فإن ذلك يقدم نوعاً من الضمان
لرؤية وجود جدير بالإنسان على الأقل لبقية الحياة.
إلا أنه لا توجد سوى إمكانات محدودة للتأهيل والتأهيل البعدي والتأهيل المستمر للأطباء
والنفسانيين والمتخصصون بالخدمة الاجتماعية والمرضى والمرضات والمتخصصون
بالعلاج الفيزيائي والعلاج بالشغل.